مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة دوليّة محكّمة،

السنة العاشرة، العدد التاسع والعشرون، ربيع وصيف ١٣٩٨هـ. ش/٢٠١٩م

صص ١٣٧- ١٦٠ **DOI:**10.22075/lasem.2019.16687.1149

تطوّر الهويّة اليهوديّة في شعر «حاييم نحمان بياليك» و«محمود درويش» دراسة مقارنة

كريم كشاورزي* ومحمد علي سلماني مروست**

الملخّص

تستند الهويّة اليهوديّة إلى التراث الديني، والتاريخي، والثقافي اليهودي وما به من التعابير والصور التي تدلّ على اهتمام الشاعر لتسجيل الأحداث والموازين التوراتيّة. تعتمد هذه الدّراسة على المنهج التطبيقي- التحليلي ومهمتها الرّئيسة الكشف عن مفهوم الهويّة اليهوديّة ومقوّماتها في شعر "حاييم نحمان بياليك" و "محمود درويش" حيث خطا بياليك (١٩٣٤-١٨٧٣) خطواتٍ كثيرةً في تحوّل الشعر اليهودي حيث وظّف الأساطير والمواريث القوميّة والدينيّة اليهوديّة في خدمة الفلسفة الصهيونيّة وتركيز المفاهيم الانطوائيّة، والوطن، والدولة واللادينيّة. أمّا محمود درويش (٢٠٠٨-١٩٤١) فيعطي الهويّة اليهوديّة بعداً عربيّاً في سبيل المقارنة بما فيها من قضيّة التشرّد، والاستعطاف، والاستدعاء، والصبر والاستعانة فالأنبياء اليهود لم يكونوا عند الشاعر إلّا منجين وأبطالاً يخلّصونهم من العدوان الصهيوني.

كشفت هذه الدراسة عن ميزات الهويّة اليهوديّة في شعر بياليك ودرويش، حيث إنّ بياليك لم يستعمل الهويّة اليهوديّة في سبيل الأهداف التبشيريّة، والتعليميّة، والإبداع الشعري، بل صارت وسيلة لتوطيد مضامين "الشتات" و"التراث" والاضطهاد" على سبيل المقارنة بين الماضي اليهودي وحوادثهم المؤلمة الرّاهنة كالجيتو(الحيّ المقصور) والتشرّد اليهودىّ، ولكن تختلف ميزات الهوية اليهوديّة في شعر درويش؛ لأنّه يوظّف "قصة هاجر"، و"إسماعيل"، و"أيوب" و"حبقوق" توظيفاً فنيّاً، للإشارة إلى الاحتلال الصهيوني في أرض فلسطين ومفاهيم القتل والحرب وأيضاً الابتعاد بين اليهوديّة الدينيّة والصهيونيّة المتطرّفة القوميّة.

كلمات مفتاحيّة: محمود درويش، نحمان بياليك، الهويّة اليهوديّة، الشعر العربي المعاصر، الشعر اليهودي.

---

*- طالب الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، إيران. kkeshavarzi222@gmail.com

** - أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة يزد، إيران. (الكاتب المسؤول) salmani_m@yazd.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٣٩٧/٠٩/٢٠هـ.ش= ٢٠١٨/١٢/١١م تاريخ القبول: ١٣٩٨/١١/٠٢ هـ.ش= ٢٠٢٠/٠١/٢٢م.

مقدّمة:

يتعلّق تطوّر الهويّة بالقضايا الاجتماعيّة، والسياسيّة، والثقافيّة، والأدبيّة؛ لأنّ الهويّة تتغيّر ميزاتها من أجل عوامل: كالحريّة، والبيئة الجغرافيّة التي تتطابق مع التجربة الشعوريّة والنفسيّة للإنسان، ومن ثمّ يستلزم وجود هويّة ما تتعلق بحريّة الإنسان أو الأديب في مجتمعه، فإن غابت الحريّة تنتاب الشخص مشاكل نفسيّة كالاغتراب، والعزلة، والوحدة. فأمّا الهويّة الأدبيّة فتعنى بقضايا الشكل والمضمون فلا تنفصل عن معرفة رؤية الشاعر وتجربته الأدبيّة التي يواجهها الأديب على أساس بيئته، ومواريثه القوميّة كالتاريخ، واللغة، والوطن.

تتمثّل الهويّة اليهوديّة في مجموعة من المؤثرات الثابتة، والأبعاد القوميّة، والوطنيّة فهي تقع في المعتقدات الدينيّة، والتاريخيّة والثقافيّة التي تنبع من الأساطير والقصص في الشعر اليهودي، حيث يبيّن اهتمام الأديب بتبيين اليهودي الجيّد، فإنّها تختلف مرتكزاتها عن اليهودي الديني وقد يبنى على أساس الدين اليهودي الخالص. ترتبط قضيّة الهويّة اليهوديّة بالتراث، حيث يبعث بها الشاعر الروح الجديدة فيصل الماضي وأحداثه المنصرمة بالحاضر وقد يجعله متّصلاً بالجذور التاريخيّة، الدينيّة والثقافيّة. تبلوّرت جذور الهويّة اليهوديّة وموازينها بنسبة حضور اليهود في البلدان المختلفة، وقد توجد مظاهرها في الشعر العربي واليهودي آنذاك للدلالة على علاقة اجتماعيّة وأدبيّة بين اليهود والعرب عبر التاريخ.

عند دراسة الشعر العربي، يواجهنا توظيف الهويّة اليهودية كأسماء الأنبياء وقصصهم وطقوس اليهود في ظلّ أشعار العرب للإشارة إلى الاستيطان اليهودي في بلادهم وتبيان مدى علاقة العرب باليهود وتوصيف شخصيتهم الاجتماعيّة، والأدبيّة والثقافيّة، فإنّهم يوردون الهويّة اليهوديّة في أشعارهم للإشارة إلى تجسيد طقوسهم والوقائع قد حدثت بين اليهود والمسلمين عبر التاريخ. أمّا في العصر الحديث فقد تطّورت الهويّة اليهوديّة في الشعر العربي عامّةً ودرويش خاصّةً، حيث يضفي عليها الشاعر بعداً عربيّاً في سبيل المقارنة بين التراث اليهودي القديم والشعب الفلسطيني الرّاهن، حيث صارت تجسيداً حيّاً لمفاهيم التشرّد، والاستعطاف، والاستعانة وفقدان الحريّة، فدرويش يستوحي من التاريخ العبراني، حيث يكون متفاعلاً ومنفعلاً مع واقعه الرّاهن والماضي اليهودي.

إذا دقّقنا النظر في الشعر اليهودي لا نلتقط أدباً كهذا الأدب الذي تغيّرت هويته الشعريّة عبر الأزمنة؛

حتى ليبدو أنّ الآداب الأخرى كالعربيّة أو الإنجيليزيّة أو الألمانيّة تنتمي إلى جنس بشري بعينه وإلى وطن بعينه أو بيئة بعينها. تتشكّل ميزات الأدب اليهودي الرّئيسة بواسطة المؤثّرات الأجنبيّة؛ لأنّ تشرّد اليهود في البلدان المختلفة في الشرق والغرب لم يسمح للشعراء اليهودي بتوطيد أشعارهم القديمة وتوسيعها والحركة نحو التجدّد والإبداع،، حيث يرى أنّ الشعر اليهودي في غضون استقراره في البلاد العربيّة كان متميّزاً بالهويّة الشعريّة العربيّة شكلاً ومضموناً وأيضاً الحركة الانعزاليّة دون أن يكترث الشعراء اليهود بموازين العهد القديم وتعاليم التوراة والتلمود وأيضاً اللغة العبريّة. لا ريبَ أنّ الاستيطان اليهود في الأندلس وتمتّعهم فيها بالحريّة الاجتماعيّة والدينيّة والثقافيّة هيّأ لهم ازدهاراً أدبياً، حيث بدأ شعراؤهم بإدخال الهويّة الجديدة في نتاجاتهم الأدبيّة بواسطة لغتهم ووصفوا بحور الشعر العبري على أساس الشعر العربي، وأيضاً ازدهر الشعر اليهودي القديم على أساس الشعر العربي شكلاً ومضموناً.

تأثّر اليهود بعد هجرتهم من الأندلس إلى أوروبا، وأعني يهود روسيا، بالتطوّر العقلي فجدّدوا مقوّمات هويتهم وفتحوا أبواب أشعارهم للثقافة الأوروبيّة بديلاً عن الثقافة الشرقيّة؛ فلذا تطوّرت الهويّة اليهوديّة في الشعر الحديث تطوّراً ملحوظاً، واعتمدت على الصبغة الصهيونيّة القوميّة التي تختلف عن الدين اليهودي وأحكامه التوراتيّة. تنوّعت شخصيّات وقصص توراتيّة في شعر بياليك لتجديد القوميّة اليهوديّة وإخراجها عن الرؤيّة الدينيّة،؛ لأنّه يستفيد من الموروث التوراتي بصيغ جديدة تخدم الأطماع الصهيونيّة وفقاً لرؤيّة الشاعر على أساس الوقائع الرّاهنة بما يُوصف بالظاهرة الانطوائيّة والعنصريّة والعلمانيّة والرفض والاحتجاج.

تتطرّق **هذه الدراسة إلى توصيف الإطار النظري** لتطوّر الهويّة اليهوديّة في شعر "درويش" و"بياليك"؛ فهذه الهويّة ترشدنا إلى النقاط الهامّة التي تتحدّد في مجال النقد، والمتغيّرات التاريخيّة، والدينيّة، والأوضاع الاجتماعيّة لهذين الشاعرين وأيضاً إلى مدى تعلّقهما بالتراث اليهودي واندماجهما به وتوظيفه في مسايرة القضايا الحديثة. تكشف الهويّة اليهوديّة عن الصورة الجديدة للعرب واليهود من حيث مفاهيم العودة إلى الأرض والانتماء القومي والحركة نحو التمرّد والرفض والمقاومة. في هذا الصدد، بادر الشعراء اليهود الجُدَد إلى تطوير الهويّة اليهوديّة من جهتين: الجهة الأُولى- إزالة الهويّة الشعريّة العربيّة وميزاتها الشرقيّة من الشعر اليهودي الحديث. والجهة الثانيّة- توطيد مضامين الآيديولوجيّة الصهيونيّة في الشعر اليهودي، حيث رسخت هذه القضايا في شعر بياليك الذي لم يألُ جهداً في سبيل تثبيت الهويّة القوميّة،

والتطرّف الصهيوني في الشعر اليهودي الحديث. وقد ازداد وصف مظاهر الهويّة اليهوديّة في شعر درويش، إذ أعطاه الشاعر توظيفاً فنيّاً للإشارة إلى ارتباطه بقضيّة فلسطين.

قد حاول الباحث من خلال هذه الدراسة الإجابة على سؤالين: ١- ما هي أهمّ تجليّات القصص والطقوس والمواريث التاريخيّة اليهوديّة وخصائصها المعنويّة في شعر بياليك ودرويش؟ ٢- ما هي أهم افتراقات استخدام الهويّة اليهوديّة في شعر بياليك ودرويش؟

وفي **خلفيّة** استخدام الهويّة اليهوديّة في الشعر اليهودي، لعبت دراسات أدبيّة للكُتّاب العرب دوراً هاماً للكشف عن مناهج الشعر اليهودي ومراحله في البلاد العربيّة والغربيّة. منها:

– حسن العزام تيسير، في مقالة عنوانها «**قيم وأخلاق توراتيّة في ظاهر نشيد الإنشاد[١] وباطنه أثّرت في حياة الأدب العبري الحديث**» (٢٠٠٩م) تطرّق الدّارس فيها إلى أنماط النصوص الأدبيّة في "نشيد الإنشاد" للكشف عن الجمال الشعري والعواطف الإنسانيّة فيه؛ إذ بيّن أنّ "نشيد الإنشاد" ينتمي إلى المادّة الدينيّة والرمزيّة والتناصيّة في الشعر اليهودي الحديث.

– فضل بن العمّار العمّاري في مقالة «**العلاقة الأدبيّة بين العرب واليهود**» (٢٠٠٢م) بحث عن السرقات الشعريّة لشعراء اليهود في العصر الوسيط مشيراً إلى أنّ الأدب اليهودي الحديث يعتبر مقلّدا للتيارات الأوروبيّة، حيث ينادي بالنزعات القوميّة والانطوائيّة.

– فائزة عبد الأمير نايف الهديب، في مقالة «**الثقافة العربيّة في الأدب العبري الوسيط**» (٢٠١٦م) تشير إلى أنّ اليهود في العصر الوسيط بنوا ثقافتهم على الثقافة العربيّة وقلّدوا الشعراء العرب في الإنتاج الشعري شكلاً ومضموناً. أمّا أهمّ الدراسات التي تناولت توظيف التراث اليهودي في الشعر العربي الحديث، خاصةً درويش فهي تقع تحت البحوث التاليّة:

– عُمَر أحمد الربيحات في كتاب «**الأثر التوراتي في شعر محمود درويش**» (٢٠٠٦م)، فهو بحث عن الرّموز والأقنعة التوراتيّة في شعر درويش ثمّ صبّ جلّ اهتمامه على رموز المكان التوراتيّة، حيث قسمّها إلى رموز القوة والضعف، ولم يُعِر اهتماماً لقضيّة تطوّر الهويّة اليهوديّة في شعر درويش وتحليلها تطبيقيّاً في أشعار بياليك للإشارة إلى افتراقها ومدى مرتكزاتها القوميّة والدينيّة.

---

[١].هوسِفر قصيرٌ يتألّف من ثمانية إصحاحات وهو عبارةٌ عن مجموعات شعريّة نسبت إلى سليمان النبي.

-محمّد فؤاد سلطان في مقالة عنوانها «**الرموز التاريخيّة والدينيّة في شعر محمود درويش**» (٢٠٠٩) فهو يتناول التناص الديني والتاريخي في شعر درويش فيستمدّ مادة دراسته من الرموز القرآنيّة والمسيحيّة واليهوديّة للتوجّه إلى مدى توفيق الشاعر في توظيف هذه الرموز.

- رخشنده نيا، سيّدة أكرم وآخرون في مقالة بعنوان «**قناع يوسف (ع) في الشعر الفلسطيني**» (٢٠١٣) عالجوا رموز قصّة "يوسف" في شعر "سميح القاسم" و"محمود درويش" مبيّنين أنّ أكثر مظاهرها في شعر سميح القاسم تدلّ على عودة الشعب الفلسطيني إلى وطنه ولكن درويش يوظّفها رمزاً شخصيّاً متحدّثاً عن معاناته تجاه العرب وما يعتريه في حاضره من مشاعر اليأس والقنوط.

-عُقبة فالح عبد الهادي طه في رسالة «**الاستعارات الكُبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش**» (٢٠١٤) يشير إلى أشكال الرموز الدينيّة في شعر درويش كالرموز المسيحيّة، والتوراتيّة والقرآنيّة، وربّما حاول الباحث أن يتعاطى مع قصص التوراة والأنبياء اليهود للإشارة إلى أهمّ دلالاتها في مضمار النص الشعري كقصّة "موسى"، و"عيسى"، و"هارون" وغيرهم.

لقد سعينا في هذه الدراسة سعياً حثيثاً للابتعاد عن التكرار، حيث يندرج البحث تحت إطار المقارنة بين الشاعرين، درويش وبياليك، من حيث حدود الفاصلة الدلاليّة للهويّة اليهوديّة في أشعارهما على أساس المضمون والدلالة الشعريّة.

١- الهوية اليهوديّة وماهيتها في الشعر العربي والعبري:

الهويّة الشعريّة لا تتغيّر إلّا بواسطة تحوّل ماهيّة الأدب، حيث ينحرف الأدب عن مجراه الحقيقي فيسير نحو شتّى المضامين والأشكال التي تغاير ماهيّته السابقة. تمتاز الهويّة اليهوديّة بالتطوّر الشكلي والمضموني الذي يضمّ المضامين الدينيّة والدنيويّة ويهتمّ بالآيديولوجيّة الفكريّة والوظائف التبشريّة ولا تعنى بالوظائف الجماليّة كالإيقاع، والبناء اللغوي الذي يقع تحت إطار «أنّ الشعر العبري القديم لا يفرق بين النثر والشعر؛ لأنّ جُلَّ اهتمام الأديب ينحصر على المضمون وانفعالاته وأحاسيسه التي تتبلور في الشعر أو النثر»[١]. تجدّدت الهويّة اليهوديّة في البلاد العربيّة وواجهت نوعاً من الانحطاط، حيث لا نجد عند شعرائهم

[١]. انظر: علي مطاوع، **الشعر في العهد القديم- الأغراض والسمات الفنيّة**، ص ٥.

القصائد الشعريّة التي تختّص بحضورهم هناك؛ بل يتضمّن العصر الجاهلي وصدر الإسلام والأموي والعباسي "الهويّة العربيّة"، ذلك أنّ شعراء اليهود لم يتشدّدوا في ديانتهم اليهوديّة ولا تنفصل هويتهم الشعريّة شكلاً ومضموناً عن أسلوب الشعراء العرب آنذاك. يقول"جواد علي":«لا نجد في أشعار اليهود أثراً كثيراً للهويّة اليهوديّة وشيئاً من قصص التوارة أو التلمود أو شيئاً له صلة بالعقيدة اليهودية»[١]. فقد حظي اليهود بالحريّة في المجالات الاجتماعية والأدبية ولديهم علاقةٌ حسنةٌ مع العرب في الأندلس، حيث ازدهر الشعر اليهودي أدبياً وامتاز بالتجدّد على أساس الشعر العربي وهويّته القديمة، «حيث إنّ اليهود قد تعلّموا اللغة العربيّة وقواعدها وقوّموا بها ألسنتهم وأذواقهم»[٢]. اللافت أنّ الشعراء اليهود في الأندلس قد تأثّروا بالهويّة الدينيّة اليهوديّة ونقلوها إلى مستوى لم يعرفه القدماء، واتّخذوا الشعر العبري رمزاً لهويتهم بما فيه من العرق الديني اليهودي دون العنصريّة والانطوائيّة والقوميّة الشوفينية. تطوّرت الهويّة اليهوديّة في الشعر اليهودي الحديث عامّةً وشعر بياليك خاصّةً، وذلك بواسطة إثارة النزعة الصهيونيّة، حيث تحوّلت الهويّة اليهوديّة من هويّة عربيّة – يهوديّة إلى هويّة غربيّة – صهيونيّة لا تهتمّ بالأدب إلّا في إطار خدمة السياسة الصهيونيّة ومقوّماتها في الانطوائيّة والتطرّف والقوميّة. فقد أحبّ بياليك «الماضي اليهودي حبّاً رومانتيكياً وسعى للحفاظ على التراث اليهودي لكي يضعه في خدمة الإحياء القومي الصهيوني»[٣]، وفي مجال آخر أدّى حضور اليهود في البلاد العربيّة وتعاملهم مع العرب إلى أن يقوم العرب بوصف طقوس وسلوكياتهم، حيث بادر الشعراء القدماء كالأعشى والأخطل وأبو نواس إلى وصف الخمرة والسفن والأبنيّة اليهودية وتفرّغ بعضهم لوصف الأنبياء اليهود كيوسف وسليمان وموسى عليهم السلام وخصائصهم البارزة ومعابدهم الدينيّة التي يتعبّدون فيها. فهذه العوامل تدلّ على وجود الشعراء اليهود وطقوسهم الدينيّة في العصور القديمة، حيث اشتركوا «مع العرب في النهضة الفكريّة المتمثلة في الشعر والأدب غير أنّ أثر اليهود لم يكن قويّاً في تأثيره على العرب»[٤]، إذ إنّ اليهود لا يُعنون بهويتهم وديانتهم ولا يكترثون بذيوعها بين

---

[١]. جواد علي، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، ص ٥٦٩.

[٢]. خالد يونس عبد العزيز الخالدي، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، ص ٣٩٦.

[٣].رشاد عبدالله الشامي، **تفكيك الصهيونيّة في الأدب الإسرائيلي**، ص ٨٩.

[٤]. محمود حسين عُبَيد الله العزازمة، **اليهوديّة واليهود في الشعر الجاهلي**، ص ١٧.

العرب. وقد استحوذت الشخصيّة اليهوديّة على اهتمام شعراء العصر العباسي، ولكن حضورهم آنذاك لم يدخل غالباً في «صُلب علاقات اليهود باليهود أو العرب باليهود فنجد الشعراء الشيعة وأهل السنة وأصحاب الترف يستفيدون من الموروث اليهودي في إشباع أهدافهم ورغباتهم الذاتيّة وتيّاراتهم الفكريّة»[١].

وظّف الشعراء العرب في العصر الحديث الهويّة اليهوديّة للمقارنة بين اليهود في الزمن القديم وما هم عليه في الحاضر، فيبادر درويش إلى المفهوم المفارقي للهويّة اليهوديّة في أشعاره، حيث لا يهتمّ بالرموز التوراتيّة لأسباب جماليّة وإبداع شعري، بل «لأغراض سياسيّة قد ترتكز على ملامح المقاومة والتسويّة فهو يريد أن يخلق القطيعة بين اليهوديّة وتراثها المعادية للفلسطينين والعرب وبين الاستعمار الصهيوني وأيضا الافتراق بين الجذور اليهوديّة والصهيونيّة المتطرفة»[٢]. فدرويش يتعرّض لطقوس وشخصيّات يهوديّة لإزالة الهويّة الصهيونيّة التي تحرّض الشعب اليهودي على إحياء مفهوم أرض الميعاد على أساس المواريث التوراتيّة، فنراه يتفاعل مع الهويّة اليهوديّة ويكسوها أبعاداً عربيّةً للإشارة إلى تسجيل التاريخ الفلسطيني ومقاومة شعبه باستحضار الأنبياء اليهود ومواريثهم القوميّة والتاريخيّة.

٢– مظاهر الهويّة اليهوديّة في شعر درويش وبياليك:

يلعب درويش دوراً هامّاً في توظيف مظاهر الديانة اليهوديّة في أشعاره، حيث يتّبع من الوسائل الفنيّة والجديدة لتطبيق وقائع الماضي اليهودي والفلسطيني الرّاهن مستعنيّاً بالرموز، والقناع، والتناص التوراتي للإشارة إلى إلمامه بموازين اليهود، حيث إنّه ينتمي إلى شعب متعدّد الديانات، فيستلهم من الهويّة اليهوديّة في سبيل التفكيك بين اليهودية الدينية والصهيونيّة السياسيّة واصفاً علاقات العرب واليهود بالوطيدة. يشير "أحمد أشقر" الباحث الفلسطيني إلى الموقف التساومي لاستخدام التراث في شعر درويش فيقول: «إنّه يوظّف الاستعارات الدينيّة اليهوديّة لأسباب "سياسيّة تسوويّة" مشيراً إلى تحويل الأعداء إلى خصوم، حيث تؤدّي دلالات ومفاهيم التراث إلى تقاسم الأرض بين أصحابها الأصليين وحلّ التسويّة بينهما والمشار أنّ الصراع العربي والصهيوني ما هو إلّا خصام فقط ويمكن حلّ هذا الخصام بتسويّة تحوّل الواقعة

١. شاكر محمود شاكر بدير، **اليهود في الأدب العباسي– نماذج مختارة**، ص ١٤٦.

٢.عقبه فالح عبدالهادي طه، **الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش**، ص ١٢.

واقعاً، والواقع واقعة»[١]. ولابأس أنّ الشاعر لا يهدف من خلال استخدام الهويّة اليهوديّة إلّا لتشويّة الحركة الصهيونيّة وإظهار العلاقة الوثيقة بين آلام اليهود في الزمن الماضي والفلسطينين في الزمن الرّاهن.

ولد حاييم نحمان بياليك عام ١٨٧٣م في فولهينيا الرّوسيّة و«تمثّل في بدايّة حياته كلّ صور الحياة التقليديّة اليهوديّة التي سادت الجيتو[٢] اليهوديّ في روسيا، تعلّم بياليك العلوم الدينيّة اليهوديّة في "بيت همدراش"[٣] فعندما هبّت رياح الهسكالا في روسيا شكّ في المعتقدات والتقاليد الدينيّة اليهوديّة»[٤]. في عام ١٨٩١م اتّجه الشاعر إلى "أوديسا" وتعرّف على زعماء إحياء الفكر القومي اليهودي كـ "أحد هعام" المفكّر والكاتب الصهيوني، فأثّر تأثيراً كبيراً على فكرته القوميّة الصهيونيّة. أنشد بياليك قصائد "موتى الصحراء"، و"في مدينة القتل"، و"سفر النيران"، مشيراً إلى الحركة القوميّة اليهوديّة التي نشأت من النزعة الصهيونيّة وفكرتها الغربيّة المتضمنة مفاهيم الوطن، والعرق ورفض التعاليم الدينيّة والاغتراب وآلام اليهود والانطوائيّة. تمتاز اللغة العبريّة عند الشاعر بالتركيز على مفاهيم الوطن والشعب؛ لأنّ «توافر الشعب والوطن يؤدّي إلى وجود اللغة؛ لأنّها تعتبر أداةً ضروريّةً لقيام الشعب»[٥]. اهتمّ بياليك باللغة العبريّة لوصف الهويّة الشعريّة التي قد زالت عبر التاريخ فهو يخرجها من اللغة الدينيّة التي تستخدم في الوصايا الدينيّة والكتب المقدسة إلى اللغة القوميّة ولغة الشعب اليهودي في أحواله وحياته اليوميّة والأدبيّة والاجتماعيّة. يبادر بياليك إلى إحياء التراث اليهودي في سبيل الأهداف الصهيونيّة والفكرة القوميّة والانطوائيّة الصهيونيّة، وتعتبر هذه الأفكار ركيزة أساسيّة في شعره؛ فيبادر إلى استجلاب التراث اليهودي لتطهير الشخصيّة اليهوديّة في أوروبا وتهويد فلسطين بوصفها الوطن اليهودي. إنّ بياليك ودرويش، كلاهما، يلجئان إلى "المقارنة" بين الماضي اليهودي والحياة الرّاهنة بما يعطي أشعارهما المفاهيم الوطنيّة والتعاطف والاستعانة. وتختلف الهويّة اليهوديّة من حيث توظيفها عربيّاً وصهيونيّاً في أشعارهما؛ فالرمز اليهودي لا

---

[١]. أحمد أشقر، **التوراتيّات في شعر محمود درويش.....من المقاومة إلى التسويّة**، ص ٢٢٣.

[٢]. الحي المقصور على إحدى الأقليات الدينيّة، العنصريّة أو الطائفيّة وليست لديهم قوانين تحميهم (سعاد إبراهيم عباس، **الجيتو وأثره في الأدب العبري**، ص ١٧٢).

[٣]. مكان يجتمع فيه البالغون للدراسة والصلاة ويتلقون مبادي القراءة والكتابة بالعبريّة.

[٤]. رشاد عبدالله الشامي، **تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي**، ص ٣٣.

[٥]. فؤاد حسنين علي، **الأدب اليهودي المعاصر**، ص ٣٥.

يُوظّف لدواعٍ جرسيّةٍ وخياليّةٍ بارعةٍ، بل يوظّف لجعل النص يعمل في التاريخ والتراث في زمنيين مختلفيين، كما يؤكّد، من جهة أخرى، الفكرة السياسيّة لهذين الشاعرين وإنتماءهما إلى أرضهما المعهودة وقوميتهما الواحدة. وهنا سنتعرّض لأهمّ تجليّات توظيف الهويّة اليهوديّة في شعر درويش وبياليك:

أ. الهويّة اليهوديّة ومفهوم الوطن في شعر درويش وبياليك:

استحوذ مفهوم الوطن بما فيه من التشرّد والغربة على اهتمام درويش وبياليك، حيث يهتمان برموز أرضهما ومعاناتهما للتشرّد والغربة والاغتراب بواسطة الرمز والتناص الديني والتاريخي اليهودي. وتعتبر المظاهر اليهودية وإعادة قصص الأنبياء اليهود وأسمائهم في شعر درويش إحدى المرتكزات لتحكيم الصلة بين اغتراب الشعب الفلسطيني واليهودي القديم في الزمن الرّاهن؛ فأصبح بذلك يوظّف قصة "هاجر" (أم إسماعيل) للدلالة على تشرّد الشعب الفلسطيني عن وطنه، حيث تمثّل هذه القصة اليهوديّة أحوال الفلسطينيين في سبيل المقارنة، كقوله في قصيدة "خروج من ساحل المتوسط":

وكانُوا يَلحَقونَ حَياتَها بِدُموعِ هاجرٍ
كانَت الصَّحراءُ جالِسةً عَلى جِلدي
وأَوّلُ دَمعَةٍ فِي الأَرضِ دَمعَةٌ عَربيّةٌ
هَل تَذكُرونَ دُمُوعَ هاجرَ- أَوَّلُ امرأةٍ بَكَت فِي هِجرةٍ لا تَنتَهِي؟
يا هاجَرُ، احتَفِلي بِهجرَتِي الجَديدة مِن ضُلُوعِ القبر [١]

يستدعي درويش شخصيّة "هاجر" للإشارة إلى مذلّتها واغترابها عن الوطن وتيهها في الصحاري الخاليّة، حيث مثّلت "هاجر" لدى درويش الهجرة القسريّة للإنسان الفلسطيني عن أرضه وإبعاده إلى أراضي الغربة والضياع «فهو يريد إعادة قصة هجرة هاجر في الكتب التوراتيّة من جديد مشبّهاً بمدى الجرائم الصهيونيّة تجاه الشعب الفلسطيني»[٢] ليربط الشاعر، في الحقيقة، هذه القصة بوقائع فلسطين الرّاهنة دون أن يبكي على مصائب اليهود فلا يحصل ابتعاد هاجر إلّا دمعة؛ لأنّه يتجدّد رمزها، حيث تحيلنا

[١].محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٤٨٦.
[٢].عُمَر أَحمَد الرَّبيحَات، **الأثر التوراتي في شعر محمود درويش**، ص ٩١.

بواسطتها إلى دموع الظلم ضدّ العربي الفلسطيني من جانب الاحتلال الصهيوني. وتختلط الهويّة اليهوديّة أيضاً بمفهوم الوطن والأرض عند "بياليك" فهو يلقي الضوء على الهويّة الحديثة التي تبرز حاجة المجتمع اليهودي لتأكيد ذاته القومية والوطنية لاغتصاب أرض فلسطين تحت شعار الوطن والحدود الجغرافيّة؛ لأنّ «الوطن لديه يتضمّن الحنين وآلام البعد عنه وضرورة العودة إليه»[١]. في هذا الصدد يوظّف "بياليك" في أشعاره الحنين والتلهّف إلى أصداء الماضي اليهودي وينادي أطلاله وخرائبه ويذرف الدموع كما كان شعراء الجاهليّة يقفون على الأطلال والدمن وقد يذرفون الدموع لفراق الأحباب، فهذه الصور تشغل مكانة واسعةً في شعره، حيث يشير إلى الجغرافيا الوطنيّة لليهود وتشرّدهم بواسطة جبل"صهيون" في إشارة إلى الهويّة اليهوديّة القديمة كقوله في قصيدة "إلى العصفور" التي كتبها عام ١٨٩١م، موظفاً العصفور كرمز يخاطب من خلاله رموز الأرض المقدّسة ومطالباً إياه أن يحقّق أمجاد الأرض القديمة ويشجّعهم على هذه الأرض. يقول:

تَحِيـــــةٌ دافِئـــــةُ لِعُودتِـــــك أيُّهـــــا العُصـــــفورُ الجَمِيـــــلُ
مِـــــن الـــــبِلاد الحـــــارّةِ إلـــــى نافِـــــذتِي
كَـــــم اشـــــتاقَت نَفسِـــــي إلـــــى صُـــــوتِك العَـــــذب
أتَحَمَـــــلُ لي الســـــلامِ مِـــــن إخـــــوانِي فِي صَـــــهيونَ[٢]

يشير الشاعر إلى العلاقة التاريخيّة بين اليهود في الخارج و"صهيون"، إذ يستخدم الصور المختلفة من الطبيعة على سبيل الرمز كالعصفور للإشارة إلى الجغرافيا الوطنيّة لليهود، فهو يدعو الشعب اليهودي إلى الانضمام إلى الآيديولوجية الغربيّة – الصهيونية ويثبّت مفهوم الوطن لإزالة المحن والشدائد التي أصابت اليهود عبر التاريخ. يصف بياليك حنينه وشوقه إلى صهيون بواسطة العصفور رمزاً للوطن اليهودي في فلسطين، ولكن نلاحظ في شعر "درويش" أنّ مكان "القدس" يحنّ إلى الشعب الفلسطيني وينادي للعودة إليها وهذا يدلّ على علاقة متينة بين القدس والإنسان الفلسطيني كقوله:

وتُغنّي القدس/ يا أَطفالَ بابلَ/ يا مَوالِدَ السَّلاسِلِ/ سَتَعُودُونَ إلى القُدس قريباً/وقريباً تَكبُرون/ وقَريباً

---

[١]. حسن حنفي، **الهويّة**، ص ٦٣.

[٢].راشد حسين، **حاييم نحمان بياليك، نخبه من شعره ونثره (الترجمة)**، ص١٢١.

تَحصُدون القَمحِ من ذاكرةِ الماضي.[١]

يوجد هنا تبادل أدوار بين اليهودي والفلسطيني، «فالفلسطيني يأخذ مكان اليهودي التائه، وهو يحنّ إلى وطنه ووطنه يحنّ إليه ويجدوه الأمل المحتم بالعودة»[٢]. ويستمرّ درويش في ديوان "أرى ما أريد" في وصف دلالات رمزيّة لهاجر في رسم صورة للوطن بواسطة الأحداث الواقعيّة، حيث تستوقفه في جانب هجرتها الفلسطينيّة وتشرّدها في الصحراء دلالة جديدة «يسعون إلى الحصول على رضا الله بمجهوداتهم، فيتمنّى على الفلسطيني أن يحصل حقّه دون مساعدة الآخرين»[٣] كقوله:

وفِي كُلِّ مَنفَى قَلعةٌ مكسورةٌ أبوابُها لحصارهم، ولكلّ باب

صَحراءٌ تَكمُلُ سيرةَ السفرِ الطويلِ مِن الحُروبِ إلى الحُروبِ

ولِكُلِّ عُوسجةٍ على الصَّحراءِ هاجَر هاجَرَت نَحوَ الجُنوبِ[٤]

يهتمّ درويش بتجارب العودة من الهجرة الطويلة فيبادر إلى وصف أحداث "إسماعيل بن هاجر"، واغترابه عن الوطن والديار، فهو يشير في قصيدة "فضاء هابيل – عود إسماعيل" إلى الحكايّة التوراتيّة التي تركّز الهويّة اليهوديّة من حيث الزمان والمكان والأشخاص ولكن «يعتبر شعره بمثابة توراة فلسطينيّة تنظّم ردوداً وتكون كالثورة على التوراة»[٥] فيقول:

أنا الغَرِيبُ، وأَنتَ مِنّي غَريبٌ! فتَرحَل

الصَّحراءُ فِي الكَلَماتِ، والكَلماتُ تَحملُ

قُوّةُ الأَشياءِ: عُد يا عُود، بالمفقُود،

واذبَحَنِي عَلَيه [٦]

يجدّد درويش قضيّة تشرّد اليهود عامّةً وإسماعيل خاصّةً، فإنّ الشاعر لايهدف إلّا وصف أحوال نفسه

---

[١].محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٣٩٨.

[٢]. غانم مزعل، **مدينة القدس في الشعر العبري: قراءة في نماذج منتقاة**، ص١٦١.

[٣]. المصدر نفسه، ص ٩٢.

[٤]. محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٣٥١.

[٥]. حيدر بيضون، **محمود درويش شاعر الأرض المحتلّة**، ص ٤٥.

[٦].محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٦٠٩.

وشعبه بالصورة الواقعيّة مكتظاً بضغوط شعبه وتمزّقاته، بل يصف العرب؛ لأنّ "إسماعيل" يرفع علم ضياع الشعب الفلسطيني كأنّه يدافع عن هذا الشعب تجاه الصهاينة؛ ثمّ يلفت الشاعر أنظارنا إلى استحضار التراجيديا اليهوديّة في العهد القديم لإظهار التراجيديّة الفلسطينيّة فيرسم الواقع التاريخي؛ فضمير (أنا) يمثّل نفس إسماعيل ويرمز إلى الإنسان الفلسطيني، وجملة "أَنتَ مِنّي غريبٌ" ترتكز على الصلة بين أحداث الشاعر ووقائع إسماعيل من التشرّد والانزواء والاغتراب.

يرسم بياليك الوطن بصورة الأرض الرّومانسية الحالمة المعدومة الجذور فلا يوجد بينه وبين الوطن علاقة مباشرة ومحسوسة إلّا في وجدانه وذاته لتستظهر مقوّماتها وخصائصها عبر الطبيعة كقوله:

أ تَحملُ لي السلام، ومِن الوادِي، ومِن القِمَم
كيف حالُ نهرِ الأردنِ ومياهِه الصافيّة
كيف حالُ كُلِّ الجبالِ وكُلِّ التِّلال[١]

يسعى الشاعر بناء وطن على أساس حبّه وذكرياته، حيث يسأل عن كلّ الجبال والتلال بواسطة الرّؤيّة الرّومانسيّة والخياليّة؛ لأنّه لا يتعلّق بالوطن بصورة مباشرة ومحسوسة، وهذا يغاير أوصاف درويش تجاه الوطن؛ «لأنّه تمسّك بالطبيعة الفلسطينيّة على أساس دلالات محسوسة ممّا تراه العين ويستنشقه الأنف لتحدّي لجيمع من يحاول طمس تاريخه وهويّة شعبه»[٢]لهذا فإنّ الهويّة اليهوديّة عند بياليك لا يمثلها الوطن والإقليم، بل يمثّلها الشاعر بوصف الدولة الصهيونيّة قد تخالف بموازين الدين اليهودي في حالة «أنّ الوطن أو الإقليم هو الجغرافيا وليس الدولة»[٣].يستفيد درويش من القضايا التاريخيّة اليهوديّة، حيث يحكى حكايّة تشّرد القوم اليهودي عبر التاريخي وقد يبدأ من آدم حتى وصل إلى الشعب الفلسطيني فإنّه لا يتعرّض لهذه الحكايات إلّا إظهار المزاعم الدولة الصهيونيّة، فيستثمر الهويّة والتاريخ اليهودي لمقارنة وتطبيق بين الشعب اليهود والفلسطيني مُوحيّاً بقصّة إسماعيل وهاجر لتمطّي اللثام عن أحوال الشعب الفلسطيني، حيث يقول الشاعر في قصيدة "مأساة النرجس ملهاة الفضّة":

---

[١].راشد حسين، **حاييم نحمان بياليك، نخبه من شعره ونثره (الترجمة)**، ص١٧٠..

[٢].حامد پور حشمتي، **موتيف الأشجار في شعر محمود درويش؛ دراسة إحصائيّة وتحليليّة بين النخل والزيتون والبرتقال**، ص ٨١.

[٣]. حسن حنفي، **الهويّة**، ص ٦٣.

ولهم حِكايَتُهُم، وآدمُ جدُّ هِجرتِهم بكى ندماً، ولِلصَّحراء هاجر

والأنبياءُ تَشرَّدُوا في كُلِّ الأَرضِ، والحِضارةُ هَاجَرَت والنخل هاجرت[١]

يحاول درويش «أن يزاوج بين التجربة الدينيّة والتجربة التاريخيّة للفلسطينيين»[٢] فالهجرة الفلسطينيّة تعتبر امتداداً للهجرة آدم من الجنّة إلى الأرض كذلك هجرة هاجر إلى صحراء الحجاز، الجدير أنّ الشاعر يهتمّ من خلال شخصيّة إسماعيل برسم مفارقة بين الحاضر الفلسطيني والماضي اليهودي مشيّراً في جانبها إلى تشرّد هاجر وإسماعيل في الصحراء على حسب إرادتهم وأيضاً تشّرد الشعب الفلسطيني قسريّاً دون حبهم واشتياقهم.

يعرج بياليك أيضاً بالقضايا التاريخيّة اليهوديّة في قصيدة "مدينة المذبحة" للإشارة إلى مفهوم الوطن بواسطة استحضار التراث اليهودي فهو يتمنّى عودة "يشوع بن نون" لتقويّة الجيش اليهودي وتكريس الدولة الصهيونيّة في فلسطين كقوله:

أمامَ الشَّمسِ المقبلةِ

مَنظرٌ رائعٌ كوجهِ ملاك الحربِ

يَقِفُ يشوعُ بن نونَ يَصيحُ

على رأسِ جيشِه العَظيمِ

صَوتُه كالسَّهمِ يَخرجُ مُليئاً بالقوّةِ والبَأسِ[٣]

فهذه القصيدة تحفل بالتحريض العنيف أمام الأغيار والمفاهيم التطوريّة كإحياء التراث والدفاع عن الوطن اليهودي وأيضا وصف الجيش اليهودي قد يصيح ويناهض برئاسة "يشوع بن نون"، وفي هذا الأثناء يريد الشاعر استعادة مجد الشعب اليهودي فيكون في ظلّ بأس وقوّة للمناهضين الصهاينة الذين يحرّضون اليهود على الحرب والمناهضة ضدّ العرب، فربّما كان الصراع والأخذ بالثأر هو السمة البارزة في أدب ما... ولكن بياليك يطرح مفهوم الحرب للدفاع عن الأرض والعودة إليها بواسطة القوّة الصهيونيّة التي تحارب

---

[١]. محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، المجلّد الثاني، ص ٤٢٥.

[٢]. عقبة فالح عبد الهادي طه، **الاستعارات الكبرى ودلالتها في أعمال محمود درويش**، ص ٥٢.

[٣]. راشد حسين، **حاييم نحمان بياليك، نخبه من شعره ونثره (الترجمة)**، ص١٤٨ .

العرب والشعب الفلسطيني. نستنتج من خلال ذلک أنّ الوطن لايکتسب مقدرته على البقاء في شعر بياليك إلّا بواسطة التفاعل والتطوّر مع المعطيات السياسيّة، والاجتماعيّة والدينيّة عند الشاعر فإنّه يلائم بين الهويّة الوطنيّة اليهوديّة والآيديولوجيّة الصهيونيّة وفكرتها القوميّة لتثبيت الوطن اليهودي الذي لا يحدّ بالحدود الجغرافيّة الواقعيّة، بل مرتكزاً على الدولة والصّور الرومانسيّة التي تثبّت خيال الوطن اليهودي في فلسطين مع المقارنة وتهويد فلسطين بوصف أرض الميعاد. فأمّا درويش فيستخدم التراث اليهودي للإشارة إلى التشرّد والمعاناة اليهوديّة وتحريض العرب للمقاومة أمام الاحتلال الصهيوني في سبيل الصور المحسوسة والواقعيّة. فإنّ الهويّة اليهوديّة كقصّة "إسماعيل"، "هاجر"، تعتبر بمثابة المقارنة بين الشعب اليهودي في الزمن القديم وأحوال سكّان فلسطين في الحاضر، فالرموز التوراتيّة تكشف عن قضيّة مشروعيّة الوطن والرّؤيّة التساويّة للشاعر تجاه اليهود فإنّه موظّف توظيفاً جيّداً بالتجربة الواقعيّة حفاظاً على التراث اليهودي والعربي في فلسطين بواسطة الإيحاءات والدلالات التي تتمثّل عمق انتماء الشاعر إلى وطنه.

ب– الهويّة اليهوديّة ومفهوم الاستعانة في شعر درويش وبياليك:

يشير السياق الشعري للهويّة اليهوديّة إلى عمق اهتمام درويش وبياليك بقضيّة الاستعانة وطلب المعونة ليخلّصهم من المعاناة والآلام التي حلّت بهم عبر التاريخ. فيهتم درويش ضمن الهويّة اليهوديّة بقداسة الأنبياء اليهود في أرض فلسطين وتعاملهم مع العرب، حيث يستدعي الشاعر فضائل الأنبياء اليهود ک "موسى" ولا ينقله نقلاً فوتوغرافيّاً، بل يختار من بين ملامح هذه الشخصيّة للإشارة إلى حضور النبي "موسى" في فلسطين ومدى قداسته فيها کقوله:

ومُصادِفةٍ صَارَتِ الأَرضُ أَرضاً مُقَدّسةً
لا لأنّ بُحيراتِها ورُبَاها وأَشجارَها
نُسخةٌ عَنِ فراديسِ علويّةٍ
بل؛ لأنّ نَبي تَمشِي هُناك
وصَلَّى عَلَى صَخرَةٍ فَبَكَت[1]

[1]. محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٢١٣.

يضفي الشاعر صبغة دينيّة على أرضه بواسطة النبي "موسى" وأعماله المدهشة بسبب معجزات الله في فلسطين، فالواقع أنّ الشاعر يوقظ الشعب اليهودي والفلسطيني للإشارة إلى حقوقهم وتجذّرهم في أرض فلسطين. في هذا الصدد، تتبلور هذه المواريث اليهوديّة كنوع من مفاهيم الاستعطاف والاستدعاء والتعاطف، حيث يطلب من النبي "أشعياء" أن يخرجَ لرؤيّة الظلم اليهودي ويقدم النصيحة لشعبه، حيث ورد في النصوص التوراتيّة أنّ أشعياء هو صاحب نصائح الخير لشعبه ليتوجهّوا إلى الله تعالى، ولا يبتعد درويش عن هذا المعنى فيتفاعل معه لكى يتعاطف مع العرب ويساعدهم على مناهضة العدوّ الصهيوني كقوله:

أُنادِي أَشعيا:

أُخرُج مِن الكُتُبِ القَديمةِ مَثلَما خَرجُوا، أَزقّة

أَزِقَّةُ أورشليم تُعلِّقُ اللَّحمَ الفِلِسطينيَ فوقَ مَطالِعِ العَهدِ القَديمِ

وتَدّعِي أنّ الضَحيّةَ لم تُغيّر جِلدَها

يا أَشعيا.....لا تَرثِ

بَل أَهجُ المدينةَ كِي أحبَّك مَرَّتين[١]

يطلب درويش من أشعياء «أن يخرج من كتاب العهد القديم وحارب قومه اليهودي، فأزقة أورشليم التي تعلّق اللحم الفلسطيني اليوم سيعلّق بها اللحم الإسرائيلي بواسطة النبي أشعياء لأجل أعمالهم المقيتة تجاه العرب»[٢] يستمدّ الشاعر من أشعياء بوصفه الملجأ لإزالة مساعي الصهيونيّة من القتل والإبادة والتشرّد وقد شنت باسم الإله اليهودي، فالشاعر يخاطبه أنّه لا يرثي أورشليم، بل يهجو أورشليم الآثمة قد أدّت إلى تعليق اللحم الفلسطينيين في زمن أشعيا وزمن درويش. في الجانب الآخر، بياليك يبثّ توطيد روح الحميّة في نفوس أبناء قومه ويطلب المعونة من جيل "موسى" لمساعدة الدولة الصهيونيّة في سبيل تحقّق أهدافهم القوميّة كقوله:

---

[١]. المصدر نفسه، ص ٣٦٤.

[٢]. عُمَر أَحمَد الرَّبيحَات، **الأثر التوراتي في شعر محمود درويش**، ص ٦٩.

هُم يُنادُون / نَحنُ أبطالٌ! / نَحنُ آخرُ الجيلِ لِلعُبوديّةِ وأوّلُ جِيلِ الخَلاص! / يَدُنا واحدةٌ، وقويّةُ / كَسَرنا ثقلَ الغُلّ مِن أعلى عُنُقِنا العَظيمِ / ورفَعنا رؤوسَنا نحوَ السَّماءِ فَتَشَكَّلت بعيوننا[١]

يقارن الشاعر بين أوضاع اليهود في العصر الوسيط والجديد، حيث يستعين بأبطال اليهود لكسر الغلّ من أعناقهم فإنّه يهتم بفكرة "الخلاص" للإشارة إلى خلاص اليهود من القهر والحصار والتشّرد فالمراد من "آخر جيل للعبوديّة" هو حياة اليهود وقد تاهوا في شتّى البلدان الأجنبيّة في العصور الوسطى ثمّ يتعرّض الشاعر للمّ شمل القوميّة اليهوديّة بواسطة الدولة الصهيونيّة التي حقّقت فكرة الخلاص من التشرّد في الحاضر، وأيضاً في موضع آخر يستفيد بياليك من أسطورة يهوديّة في العهد القديم كالرّيح الشرقيّة وجيل موسى لحمايّة الدولة الجديدة اليهودة ومواكبة الحركة الصهيونيّة كقوله في قصيدة "موتى الصحراء الأخيرون":

فاليُومُ أو غداً سَتقطَعُ الرّيحُ الشَّرقيّةُ

وسَتظهَرُ الشَّمسُ حَتى الابتهاجِ

لِتُرسلَ لأوّلِ مَرّةٍ على وَجهِ جِيلِ شَديدِ البَأسِ [٢]

وفي موضع آخر يشير الشاعر إلى تمسّكه بالله سبحانه تعالى والبيت المقدّس فيحتضنها بمثابة الملاذ الرّوحي كقوله:

لقد تَغلَّبَ عَليَّ عَدُوّي، وخلفني مجرّداً

ولكنّني أنقذني إلهي وتعاطفني

ولن تنهاري يا خيمة الرّب وسأعيد بناءك[٣]

«لاشكّ أنّ الشاعر أراد بـ"جيل شديد البأس" دُعاة النزعة الصهيونيّة بمثابة الهويّة اليهوديّة وهي جيل جماعة موسى الذين حملوا السلاح مع "يشوع" للدخول إلى أرض فلسطين»[٤]. يلجأ بياليك من

---

[١]. راشد حسين، **حاييم نحمان بياليك، نخبه من شعره ونثره (الترجمة)**، ص١٨٩ .

[٢].المصدر نفسه، ص١١٣.

[٣]. المصدر نفسه، ص ١١٧.

[٤]. فائزه عبدالأمير نايف الهديب، **القصص التوراتيّة في الشعر العبري الحديث (بياليك، تشر نخوفسكي، كرينبرك)**، ص٨٧.

فن "التعاطف" و"الاستعانة" كاستدعاء الله سبحانه تعالى والأنبياء اليهود وأبطالهم، فيغرق الشاعر في تمثيل الشعب اليهودي بصفته جيلاً ذا قوّة وبأس ثمّ يستلهم من الطبيعة وعناصرها تمثيلاً رمزياً لمساعدة إعادة السطوة اليهودية في العالم وفي الجانب الآخر لا يقنط الشاعر من رحمة الله؛ لأنّ الله سبحانه تعالى ساعدهم في زمن تشرّدهم وحصارهم.

أمّا درويش فيستدعي من الأنبياء اليهود "موسى" و"أشعيا" في سبيل التناص الديني فهو يمجّد حضورهم في فلسطين فيقارن بين أحوال الأنبياء اليهود وبين الاحتلال الصهيوني، حيث يستوحى وصف الشخصيّة اليهوديّة، ويستذكر حضورهم في فلسطين وأعمالهم المقدّسة فيها لإثارة حميتهم للذود عن الشعب الفلسطيني الأعزل.

ج- الهويّة اليهوديّة والبعد العربي والصهيوني في شعر درويش وبياليك:

يستفيد درويش وبياليك من الهويّة اليهوديّة ويعطيانها بعداً عربيّاً وصهيونيّاً، حيث ينكر درويش قضيّة الصهيونيّة ويسعى سعياً حثيثاً لتفكيك اليهوديّة الدينيّة عن الآيديولوجيّة الصهيونيّة، فهو يمجّد الهويّة اليهوديّة كأسماء الأنبياء اليهود ومواريثهم التاريخيّة والدينيّة كـ"صبر أيوب"، "شعب كنعان" و"أطفال بابل" و"العبادات اليهوديّة" للمقارنة بين أحوال اليهود في الزمن الغابر والرّاهن والشعب الفلسطيني. فالجدير ذكرَه أنّ درويش لا ينظر إلى التراث اليهودي نظرةً دينيّةً ميثولوجيّةً، بل يمنحه صبغةً أدبيّةً لإظهار تجربته الشعريّة والشعوريّة تجاه قضيّة الاحتلال وبثّ روح الوحدة والتقارب القومي بين اليهود والعرب. وفي الجانب الآخر، يبادر بياليك إلى تثبيت الآيديولوجيّة الصهيونيّة ومرتكزاتها كالانطوائيّة، والقوميّة ورفض الدين اليهودي بواسطة التراث اليهودي، وتتضمّن أشعاره مفاهيم العرق والجنس، حيث يبرز الشاعر خصائصها بالصبغة الفلسفيّة ويعطيها هالةً من التقديس، لهذا يفضّل الإنسان اليهودي نفسه على غيره من أجل سلالته وماهيته. يتحدّث بياليك عن الأمّة اليهوديّة واصفاً إيّاها بالعُلُوّ على غيرها من الشعوب لوناً، وجنساً، ووراثةً، وهذا يخالف الهويّة اليهوديّة في العصور القديمة والوسطى التي امتازت بالبعد الديني والازدهار الأدبي دون أن تتوجّه توجّها بارزاً نحو العرقيّة الجنسيّة. يشدّد "بياليك" العرقيّة اليهوديّة واصفاً إيّاها بالانطوائيّة وعدم اندماج اليهود بالشعوب الأخرى لإثبات الآيديولوجيّة الصهيونيّة، فهو يُعلي الجنس اليهوديّ ويبادر إلى تفضيل الهوية اليهوديّة ويحذّر من ذوبانها بهويات الشعوب الأخرى كقوله:

أَ هكَذا تَندَمجُونَ / لُقمَةٌ سَائِغَةٌ بينَ أَسنانِ الشَّرهينِ / هكَذا صَارَ أبناؤُكُم/ في الأَحجارِ الرَّخيصةِ[١]

يشير الشاعر إلى الفكرة اليهوديّة الموروثة التي جاءت في المواريث القديمة فهي القضيّة الانطوائيّة[٢] التي تعتبر بمثابة العنصريّة؛ لأنّه «يحذّر من اندماج اليهود بالشعوب الأخرى باعتبارها معادن رخيصة تفسد المعدن الكريم النفيس للشعب اليهودي»[٣]. تعرّض "بياليك" في هذه الأبيات لضرورة عدم اندماج اليهود بالشعوب العالميّة كأنّ الشاعر يحذّر اليهود من الذوبان بالرّخام والمياه الأجنبيّة. الجدير ذكرَه أنّ "درويش" يبادر باستيحاء واستدعاء التاريخ العبراني والموروث اليهودي كقضيّة "شعب كنعان" و"بابل" للردّ على القضيّة الانطوائيّة الصهيونيّة وامتزاج اليهوديّة والعربيّة لمناهضة العدو الصهيوني؛ فهو يطابق حال الشعب الفلسطيني الرّاهنة بحال الشعب الكنعاني في القديم لتهميش الصهاينة في دائرتهم العلمانيّة كقوله:

يا شَعبَ كَنعانَ احتَفِل

برِبيعِ أَرضِكِ، واشتَعِل

كزُهُورِها، يا شَعبَ كنعانَ المجرَّد مِن

سلاحِكِ، واكتَمِل![٤]

يذكر الشاعر الشعب المجرّد من سلاحه، وهو الشعب الفلسطيني، فيطابق بينه وبين الشعب الكنعاني الذي جرّد من سلاحه ولم يهرب من الحرب، «فيطلب درويش الاستمرار في انتفاضته وإشعال ثورته ضدّ المستعمر الصهيوني ليكمل مسيرة النضال والجهاد»[٥]. وفي موضع آخر يستخدم الشاعر المفارقة الدلاليّة فيمنح كلمة "الحجر" روحاً عربيّاً ويجعله رمزاً للكفاح وفرقاناً بين الحقّ والباطل للإشادة بمناهضة الشعب الفلسطيني ورفضه الآيديولوجيّة الصهيونيّة كقوله:

---

[١]. صالح العياري، **في الشعر العبري والصهيوني المعاصر**، ص ٦١.

[٢].طرح مصطلح الانطوائيّة في كتاب " **التحرّر الذاتي**" لـ "يوبينسكر" فهو يمنع اندماج اليهود بالشعوب الأخرى قائلاً: إنّ الشعب اليهودي عنصر متميز عن غيره ولايصلح للذوبان والاندماج في كيان أيّ أمّة. شاع هذا المصطلح في الأدب اليهودي الحديث فلا نواجه بارقته في الأدب اليهودي الوسيط فهذا يرجع لاختلاط اليهود بثقافات البلاد المستوطنة.

[٣]. علي سليمان، **العنف في الأدب الصهيوني**، ص ١٩٩.

[٤]. محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٤٤٦.

[٥]. عُمَر أحمد الرّبيحات، **الأثر التوراتي في شعر محمود درويش**، ص ٢٤٧.

وأَحمَلُ أرضَ كَنعانَ التي / اختَلَفَ الغُزاة عَلى مقابرهم / مِن حَجَر سَتَنَشأُ دولةُ الغيتو / ومِن حَجَر سَننشئ دولةُ العُشّاق[١]

يشير الشاعر إلى «دلالة كلمة "الحجر" في الشعر اليهودي والفلسطيني، حيث سعى الصهاينة إلى إنشاء دولة اليهود القمعيّة بهذه الأحجار ويستخدم الفلسطيني هذا الحجر في انتفاضته ضدّ اليهود لتنشأ دولة المحبّة والسلام»[٢]. كرّس بياليك الموروث اليهودي لتوطيد المظاهر العلمانيّة كردّ الدين اليهودي والحركة نحو العقلانيّة والماديّة بمثابة الفكرة الصهيونيّة فهو يبادر بإزالة التأثّرات العربيّة في الشعر الحديث وفسح المجال للثقافات الغربيّة والفكرة اللادينيّة كما يقول "رؤوبين سنير" أستاذ الأدب العربي في جامعة حيفا، إذ يقول: «تأثير الثقافة الأوروبيّة على الشعر اليهودي في العصر الحديث أكبر من الشعر العربي،؛ لأنّ أغلبيّة الشعراء اليهود كانوا إمّا أوروبيين أو من عوائل أوروبيّة وكانوا يجيدون اللغات الأوروبيّة كالإنجليزيّة أو الفرنسيّة والألمانيّة»[٣]. ترعرع بياليك في روسيا وتأثّر بالنهضة الفكريّة اليهوديّة ونهضة التنوير اليهودي الّذي أدّى إلى إزالة الهويّة الدينيّة في الشعر اليهودي الحديث كقوله في قصيدة "أمام دولاب الكتب":

أيَّتُهـــــا الكُتُـــــبُ المَكنُـــــوزةُ في الـــــدُّولابِ
يا عَجـــائزَ الكُتُـــبِ إنّي أنظُـــرُ فيـــك ولا أعرِفُـــك
حُروفِـــك لم تَعُـــد تَنظـــرُ إلـــى أعمَـــاقِ نَفسِـــي
كـــانُوا يَعتُـــرونَ علـــيَّ في ليـــالي الشِّـــتاء، الليـــالي المتجهّمـــة
منكبّـــاً علـــى كتـــابٍ قـــديمٍ ممـــزقِ الصـــفحات[٤]

يردّ بياليك على الرؤية التقليدية اليهوديّة مشيراً إلى النزعة الصهيونيّة في أشعاره ويرى بأن هذه التعاليم التوراتيّة أصبحت باليةً وخرقةً ويسمّي هذه الكتب التوراتيّة بالعجائز التي كلّما ينظر الإنسان إليها لا يفهم شيئاً ولم تساعد اليهود عبر التاريخ. تنبع المرتكزات الصهيونيّة من وجود الرؤيّة الغربيّة، حيث تختلف مسيرة

---

[١]. محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٢٣٣.
[٢]. عمر أحمد الرّبيحات، **الأثر التوراتي في شعر محمود درويش**، ص ٢٤٧.
[٣]. رؤوبين سنير، **يهود العرب: اللغة والشعر والهويّة المنفردة**، ص ٧.
[٤]. راشد حسين، **حاييم نحمان بياليك، نخبه من شعره ونثره (الترجمة)**، ص١٧٦.

النزعة الصهيونيّة عن الرؤيّة التقليديّة في الشعر اليهودي فتصطبغ بالماديّة التي تهتمّ بالواقعيّة والدنيا وتخالف الشعر اليهودي القديم الذي يتضمن المضمون الديني بما فيه من الموازين التبشيريّة والحكميّة. فالجدير بالذكر «أنّ الهويّة تعتبر بمثابة الملامح المشتركة التي اتّفقت حولها الجماعة لكي تتجاوز عن إطار ضيّق التعبير عن القواسم المشتركة للانتماء الديني، الوطني، والجغرافي الذي يربط أفراد الجماعة ويمنع التفكّك والتشرذم»[١].

فأمّا درويش فيوظّف الهويّة اليهوديّة مؤكّداً على الهويّة الفلسطينيّة فهو يتعامل مع موازين التوراة فلا ينكرها، بل يستحضرها «للخلاص من واقع اليأس وإيضاح المستقبل الجديد أمام الشعب الفلسطيني»[٢].تعتمد قصائد درويش بواسطة التناص التوراتي على همومه وانشغالاته في إطار الوطن ومعاناة الشعب الفلسطيني، فاستخدام الرموز التوراتيّة والهويّة اليهوديّة لا تمثّل عند الشاعر إلّا قضيّة فلسطين وشعبه ومدى تجذّر علاقة اليهود والعرب في فلسطين، كأنّ الشاعر لايفرق بين اليهود والعرب من، حيث ألمهم ومعاناتهم كقوله:

وأيضا يقول في موضع آخر:

آه يا أَطفالَ بابلَ / سَتَعُودونَ إلى القُدسِ قَريباً / وقَريباً تَكبُرونَ وقَريباً، وقَريباً / هَللويا، هَللويا![٣]

شكّل الشاعر مفاهيم "المقاومة" عبر التراث الديني والتاريخي والقومي اليهودي، فالمتتبع لاستخدام هذه المواريث يجد أنّ الشاعر قد وظّف الهويّة اليهوديّة توظيفاً فنيّاً لمقارنتها بأوضاع فلسطين، كأنّه يبلور في قصيدة "مديح الظلّ العالي" مقاومة وصبر "يوسف" أمام الرّق والسجن والغربة «وقد يكون يوسف هو الإنسان الفلسطيني الذي يشعر باضطهاد إخوته من أبناء آدم وتحديداً من إخوانه العرب الذين يرون فيه عبئاً عليهم التخلّص منه»[٤] فيظهر هذا الأمر في الأشعار التاليّة:

كَم كُنتُ وحدَك، يا ابنَ أُمّي / يا ابنَ أَكثرِ مِن أبِ /كَم كُنتُ وحدَك / القَمحُ مَرَّ في حقول

---

١. حبيب صالح مهدي، **دراسة في مفهوم الهويّة**، ص ٤.

٢. عمر أحمد الرّبيحات، **الأثر التوراتي في شعر محمود درويش**، ص ١٤٤.

٣. محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٢١٠.

٤. سيّدة اكرم رخشنده نيا، **قناع يوسف في الشعر الفلسطيني المعاصر**، ص ٦٤.

الآخرين / والماءُ مَالحٌ..... / يا ابنَ مَن يحمَى القُدامى مِن خَطِيئَتِهم/ وعَليكَ أن تَمشِي بلِا طَريقٍ[١]

يمضي درويش في إظهار مدى مقاومة الشعب الفلسطيني أمام الاحتلال الصهيوني، حيث يعطي قصّة يوسف بعداً عربيّاً؛ لأنّه يبثُّ شكواه من الدول العربيّة وحيادهم تجاه قضيّة فلسطين. تعرّض درويش لقصّة "أيوب" الذي اشتهر بالصبر على البلاء الذي حلّ به قدراً من الله وعدم الشكوى مما حَلّ به؛ لأنّه لم يضعف ولم يسيطر عليه اليأس. فدرويش يستخدم رمز "أيّوب" إشارة للتراث اليهودي ويجعله مصداقاً لمفاهيم الصبر والمقاومة عند الإنسان الفلسطيني أمام الاضطهاد الصهيوني كقوله:

كانَ أيّوبُ يَشكُرُ / خالقَ الدّودِ والسَّحابِ/ خَلق الجُرح لِي أَنا/ لا لميّتٍ .....ولا صَنَمٍ / فَدَع الجرحَ والأَلمِ/ وأَعنّي عَلى النَدمِ[٢]

النصّ يرسم صورة رمزيّة لشخصيّة "أيوب" الذي لا يقبل الهوان والذُلّ، بل يصبر ويقاوم الشدائد، فتوظيف أيّوب في الحقيقة يؤدّي دوراً فاعلاً لتكريس مفهوم المقاومة ورفض الاحتلال، والمقارنة بين أحوال الشعب اليهودي القديم والفلسطيني الرّاهن. فدرويش يعود إلى الماضي اليهودي فيسجّل أحداث أيوب ويصوّره، فهو لم يعد سارداً للتاريخ ومعبّراً عن فكرة وعاطفة آنيّة، بل يتعامل مع هذه القضايا فيشكّلها أبعاداً عربيّةً لإظهار الحريّة، والرفض، والالتزام عند الشعب الفلسطيني.

أمّا الهويّة اليهوديّة في شعر بياليك، فتعتمد على الصبغة الصهيونيّة التي نشأت مقوّماتها من التاريخ، والقوميّة والموروث الديني؛ حيث حاول الشاعر أن يكرّس انتماء أبناء شعبه للمفاهيم الانطوائيّة والعرق واللادينيّة التي تتعلّق بالهويّة الجماعيّة التي تبحث عن الإنسان اليهودي في ظلّ الدُّولة والأُمّة، فكان بياليك يصف حياة اليهود في أيّام بؤسهم وتشرّدهم لتقويّة "فكرة الخلاص" والرّوح الوطنيّة مستوحيّاً من الهويّة اليهوديّة على أساس الآيديولوجيّة الصهيونيّة لتغيير صبغة أرض فلسطين العربيّة وإبراز العلاقة بين اليهود والأرض الموعودة.

---

[١].محمود درويش، **ديوان محمود درويش**، ص ٣٥٢.

[٢]. **المصدر نفسه**، ص ٧٠.

النتيجة:

وصلت المقالة بعد دراسة الهويّة اليهوديّة وخصائصها الجوهريّة في شعر "محمود درويش" و"نحمان بياليك" إلى هذه النتائج:

١- قد تطوّرت الهويّة اليهوديّة في الشعر اليهودي الحديث شكلاً ومضموناً، حيث تعرّضت للتغيير في مضمار التقليد؛ لأنّها تأثّرت بالشعر الأوروبي وهويتها الغربيّة حيثا تخالف الشعر اليهودي القديم والوسيط وتمتاز بالآيديولوجيّة الصهيونيّة التي لا تهدف إلّا لترويج مقولة تفوّق اليهود وتميّزهم على الشعوب الأخرى، فقد سعى "بياليك" إلى تثبيت النزعة الصهيونيّة في الشعر بمثابة حركة نحو التنوير، حيث غيّر الهويّة اليهوديّة من الهويّة الدينيّة إلى الهويّة الانطوائيّة، والعلمانيّة، والعنصريّة والوطنيّة؛ مستعيناً بالتراث اليهودي كالشخصيات الدينيّة العبرية كـ "يشوع" و"سليمان" وأسماء الأماكن والكتب المقدّسة كـ"بيت همدراش" و"التوراة" لدفع اليهود إلى الاحتجاج والتمرّد على المفاهيم التقليديّة وأيضا تشجيعهم على اغتصاب أرض فلسطين برسم معاناة اليهود وأحداثهم في المنفى.

٢- يستخدم درويش الهويّة اليهوديّة في سبيل المقارنة ويعطيها بعداً عربيّاً لتفكيك اليهوديّة من الصهيونيّة بالتناص الشعري والحقل الدلاليّ والتفرقة المعنويّة بين مفاهيم الوطن والقدس والحجر موحياً إلى هموم الشعب الفلسطيني كالاحتلال والعدوان والتشّرد، فهذه الهويّة تغيّرت ميزاتها في الشعر العربي القديم، حيث إنّ توظيف التراث اليهودي في أشعار القدماء يمتاز بحضور اليهود في البلاد العربيّة، إذ يصفون اليهود وأنبياءهم لإشباع رغباتهم الدينيّة والقوميّة. يزداد تبيين مظاهر الهويّة اليهوديّة في شعر "درويش" حيث يهتمّ لوضع العلاقة بين اليهود والعرب وأيضاً استدعاء الأنبياء اليهود لتسجيل معاني التعاطف، والاستعانة والانتفاضة والمقاومة وأيضاً ربط الماضي اليهودي بالقضايا الراهنة للشعب الفلسطيني.

٣-يستخدم بياليك ودرويش الرّموز التاريخيّة اليهوديّة في التعبير عن موقفهما السياسي؛ واتّخذها معادلاً موضوعيّاً للحالة الجماعيّة التي يعيشون فيها كحكايّة المنفى وفقدان الحريّة والحصار وأيضاً يستخدمان "المقارنة" بين الماضي البعيد والوقائع الرّاهنة متّخذاً مصدرها من التعاليم التراثيّة اليهوديّة في التوراة والوقائع التي حلّت بالأنبياء اليهود، من تشرّدهم ونفيهم من الوطن؛ فيستخدم مصطلحات كالسبي والجيتو والشتات في شعره. وتبرز قضايا الاحتلال الصهيوني، فقدان الحريّة والمقاومة في شعر درويش، فهما

لا يوظّفان التراث اليهودي توظيفاً فوتوغرافيّا، بل يتعاملان بتجربتهما الشخصيّة والقضايا الوطنيّة وإعلاء صراخ الرفض والاحتجاج إزاء الأوضاع الرّاهنة.

قائمة المصادر والمراجع:

أ.الكتب

١- أشقر، أحمد، **التوراتيات في شعر محمود درويش من المقاومة إلى التسوية**، دمشق: قَدمُس للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.

٢- حنفي، حسن، **الهويّة**، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميريّة، ٢٠١٢,

٣- حسنين علي، فؤاد، **الأدب اليهودي المعاصر**، قسم البحوث والدراسات الفلسطينيّة، ١٩٧٢,

٤- الخالدي، خالد يونس عبد العزيز، **اليهود في الدولة العربية الإسلامية في الأندلس**، فلسطين: غزة، ١٩٩٩,

٥- راشد، حسين، حاييم نحمان بياليك، **نخبه من شعره ونثره** (الترجمة)، تل أبيب: دار دفير للنشر، ١٩٦٦,

٦- الرّبيحات، عُمَر أحمد، **الأثر التوراتي في شعر محمود درويش**، عمان: دار اليازوري العلميّة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦,

٧ - سليمان، علي، **العنف في الأدب الصهيوني**، دمشق: وزارة الثقافة، ٢٠١١.

٨- صالح مهدي، حبيب، **دراسة في مفهوم الهويّة**، الدراسات الإقليميّة: دارالثقافة، د.ت.

٩- عبد الله الشامي، رشاد، **تفكيك الصهيونية في الأدب الإسرائيلي**، دار الثقافيّة للنشر، د.ت.

١٠- درويش، محمود، **ديوان محمود درويش**، المجلّد الأول، بيروت: دارالعودة. ١٩٨٩,

١١- علي، جواد، **تاريخ العرب قبل الإسلام**، المجلد السادس، العراق: دار المجمع العلمي، ١٩٧٢.

١٢- علي مطاوع، **الشعر في العهد القديم- الأغراض والسمات الفنيّة**، مراجعة: محمّد خليفة حسن أحمد، جامعة القاهرة: سلسلة الدراسات الأدبيّة واللغويّة، ٢٠٠٦,

١٣- العياري، صالح، **في الشعر العبري والصهيوني المعاصر**، القاهرة: دارالثقافة، ١٩٨٧,

١٤- نايف الهديب، **فائزه عبدالأمير، القصص التوراتيّة في الشعر العبري الحديث** (بياليك، تشر نخوفسكي، كرينبرك)، عمان: دارمجدلاوي، ٢٠٠٦.

ب.الرّسائل

١– شاكر بدير، محمود، **اليهود في الأدب العباسي نماذج مختارة**، أطروحة لنيل شهادة الماجستير، جامعة النجاح الوطنية:كلية الدراسات العليا، إشراف: عبد الخالق عيسى، ٢٠١٤,

٢– عبد الهادي طه، عقبة فالح، **الاستعارات الكبرى ودلالاتها في أعمال محمود درويش**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بيرزيت، فلسطين، إشراف: عبد الرّحيم شيخ، ٢٠١٤.

ج.المقالات

١– إبراهيم عباس، سعاد، الجيتو وأثره في الأدب العبري، **مجلة مركز الدراسات الفلسطينيّة**، جامعة بغداد، العدد التاسع، ٢٠٠٩م، صص ١٨٠–١٦٩,

٢– پور حشمتي، حامد والآخرون، موتيف الأشجار في شعر محمود درويش؛ دراسة إحصائيّة وتحليليّة بين النخل والزيتون والبرتقال، مجلة **الجمعية الإيرانيّة للغة العربيّة وآدابها**، العدد٤٣، ١٣٩٦هـ.ش، صص٦٥–٨٦.

٣– رخشنده نيا، سيّدة اكرم والآخرون، قناع يوسف في الشعر الفلسطيني المعاصر، مجلة **اللغة العربيّة وآدابها**، العدد الثاني، السنة التاسعة، ٢٠١٣م، صص ٤٧–٦٦.

٤– العزازمة، عُبَيد الله محمود حُسَين، اليهوديّة واليهود في الشعر الجاهلي، مجلة **جامعة الخليل للبحوث**، المجلّد السابع، العدد الأول، ٢٠١٢م، صص ٧٩–١٠٦,

٥– مزعل، غانم، مدينة القدس في الشعر العبري، قراءة في نماذج منتقاة، مجلّة **رؤى فكريّة**، العدد الخامس ٢٠١٧م، صص ١٥١–١٧٧.

د.الموقع الإلكتروني

١– سنير، رؤوبين، يهود العرب: **اللغة والشعر والهويّة المنفردة**، معهد غوته، مجلة الفكر والفن. ٢٠٠٩.goethe.de/ges/phi/prj/ffs/the/spr/ar، ص ٥–٧.

بررسی تطبیقی دگرگونی هویت یهودی در شعر "محمود درویش" و"حاییم نحمان بیالیک"

کریم کشاورزی* ، محمد علی سلمانی مروست**

چکیده:

هویت یهودی براساس میراث تاریخی، فرهنگی ودینی یهود وتعبیرها وتصاویری که توجه شاعر را به ثبت این حوادث برمی‌انگیزد می‌باشد، این پژوهش براساس روش تحلیلی وتطبیقی می باشد کـه هـدف آن بررسی مفهوم هویت یهودی وساختار مفهومی آن در شعر بیالیک ومحمود درویـش اسـت. محمـود درویش براساس مقارنه ومقایسه به هویت یهودی صبغه عربی می‌دهد تا بدین وسیله آوارگـی، مقاومـت وصبر وفراخوانی شخصیت‌های یهودی در جهت یاری وکمک را نشان دهد. براین اساس پیامبران یهـود قهرمانانی هستند که مردم فلسطین را از ظلم صهیونیست‌ها نجات می‌دهند.

بیالیک گام های زیادی در دگرگونی شعر یهود برداشت، او اسطوره ها ومیراث دینی وقومی یهـود را در خدمت فلسفه صهیونیستی بکار می‌برد که به تثبیت مفاهیم نژاد پرستی، وطـن گرایـی و بـی دینـی می‌انجامد. این پژوهش از هویت یهودی در شعر بیالیک و درویش پرده برمی‌دارد، به طوری که بیالیـک آموزه‌های دینی یهود را در خدمت هدف‌های بشارت‌دهنده وآموزشی و نوآوری شعری به کـار نمـی‌بـرد بلکه وسیله ای برای تثبیت مفاهیم "آوارگی" و "مرده ریگ" و"ظلم" در راستای مقایسه بـین گذشـته یهودی واوضاع دردناک کنونی مانند گتو (محله هـای سرپوشـیده) وآوارگـی اسـت. هـم چنـین هویـت یهودی در شعر درویش بواسطه قصه هاجر، اسماعیل و حبقوق در جهت نشان دادن اشغال فلسطین بـه دست صهیونیست‌هـا و مفهـوم کشـتار و جنـگ و هـم چنـین تفکیـک یهودیـت دینـی وافـراط‌گرایـی صهیونیستی است.

کلیدواژه‌ها: محمود درویش، نحمان بیالیک، هویت یهودی، شعر عربی معاصر، شعر یهودی معاصر.

*- دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه یزد، یزد، ایران. kkeshavarzi222@gmail.com

** - استادیار، گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه یزد، یزد، ایران. (نویسنده مسؤول)salmani_m@yazd.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۰۹/۲۰هش= ۲۰۱۸/۱۲/۱۱م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۸/۱۱/۰۲ هش= ۲۰۲۰/۰۱/۲۲م.

The Transformation of Jewish Identity in the Poetry of "Hayyim Nehman Bialek" and "Mahmoud Darvish"

karim keshavarzi, Ph.D. Candidate, Yazd University, Yazd, Iran.

Mohamed Ali Salmani, Assistant Professor, Yazd University, Yazd, Iran.

Abstract

Jewish identity is based on the historical, cultural, and religious heritage of the Jews, and the poetic elements which draws the poet's attention to particular events and inspires him to record those events. This research is based on the analytical and adaptive method, the purpose of which is to investigate the concept of Jewish identity and its conceptual structure in Nayman Bialek and Mahmoud Darvish poetry. Mahmoud Darwish compares the Jewish identity with the Arabic identity in order to remove the Jewish-only quality from the Jewish identity and emphasizes on the resistance of the Jews and their help and assistance. In this way, Jewish prophets are portrayed as the heroes who can save the Palestinian people from the Zionist oppression.

Bialek's genius has taken many steps in the transformation of Jewish poetry. He employs the myths and religious teachings of the Jews in the service of Zionist philosophy, which leads to the consolidation of the concepts of racism, patriotism, and atheism. This research reveals the Jewish identity in Bialek's poetry and shows that Bialek does not apply the religious teachings of the Jews to serving the glorious purposes, education or poetry, rather he uses it as a means to focus on the concepts of "displacement", "legacy" and "cruelty" to compare the Jewish past and present painful situations such as ghettos, and holocaust. The Jewish identity in Darwish's poetry is based on the story of Hajar, Ismail, and Habukhuk to show the occupation of Palestine by the Zionists and the distinction of religious Judaism and Zionist extremism.

Keywords: Mahmoud Darvish, Bialek Neman, Jewish Identity, Contemporary Arabic Poetry, Contemporary Jewish poetry.

The Sources and References:

1) Abdolhadi, Taha, Oghbeh Faleh, *Grand metaphors and their connotation in legacy of Mahmoud darvish: Selected Models*, Dissertation for Master's Degree, Birzeit University, Palestine, 2014.
2) Abdullah Al-Shami, Rashad, *The Dissociation of Zionism in Israeli Literature*, The Cultural House for Publishing, No date.
3) Al. Khalidi, Khaled Yunus Abdel-Aziz, *Jewish in the Arab-Islamic State of Andalusia*, Palestine: Gaza, 1999.
4) Alashghar, Ahmad, *Altouraateyyat in Mahmoud Darvish's Poetry: From the resistance to compromise*, Demashgh: House for Publishing, 2005.
5) Al-Ayari, Saleh, *Contemporary Hebrew and Contemporary Poetry*, Cairo: Dar Al- Thaqhafat 1987.
6) Alazazemah, Obaudolahh Mahmoud Hossain, Judaism and Jews in Pagan poetry, *Journal of the Alkhalil studies,* Volume 7, No. 1, 2012, pp. 106-89.
7) Ali Mutawa, *Poetry in the Old Testament - Purposes and Art Features*, Reviewed by Mohamed Khalifah Hassan Ahmed, Cairo University: Literature and Linguistic Studies Series, 2006.
8) Ali, Jawad, *History of the Arabs before Islam,* volume Six, Iraq: House of the Scientific Complex, 1972.
9) Alrabehat, Omar Ahmad, *Torah effect in Mahmoud Darvish Poetry*, Oman: Dar Aluazavey House for Publishing, 2006.
10) Darvish, Mahmoud, Mahmoud Darvish's Divan, Oolume One, Beirut: Dar Alodat, 1989.
11) Hanafi, Hassan, *Identity*, Supreme Council of Culture (General Affairs), UAE Press, 2012.
12) Hassanin Ali, Fouad, *Contemporary Jewish Literature*, Department of Palestinian Research and Studies, 1972.
13) Ibrahim Abbas, Suad, *The ghetto and its Impact on Hebrew Literature*, *Journal of the Center for Palestinian Studies*, University of Baghdad, No. 9 , 2009, pp. 180-169.
14) Mazal, Ghanem, Ghods city in Hebrew poetry: Selected Readings, *Journal of Conceptual Imagery*, No. 5, 2017, pp. 177- 151.
15) Nayef Al-Hudayeb, Faezeh bdul-Amir, *The Biblical Stories in Modern Hebrew Poetry* (Bialik, Tucher Nakhovski, Kernberg), Amman: Dar majdlawi, 2006.

16) Porheshmati, Hamed et al, Trees in the Mahmoud Darvish Poetry, *Journal Of Algameyat al Irraneyat Arabic Language and Literature*, number43, 1396, pp. 86-65.
17) Rakhshandeh Niaa, Seyyedeh Akram et al., Joseph mask in Contemporary Palestinian poetry, *Journal of Arabic Language and Literathure*, Vol.9, No. 2, 2013, pp. 66-47.
18) Rashed, Hassin, *The Evaluation of Nahman Bialek: His Poetry and Prose* (translation), Tel Aviv: Dar Dvir Publishing, 1966.
19) Saleh Mahdi, Habib, *A Study on the Concept of Identity*, Dar Al-Tarbut: Regional Studies.
20) Senir, Roubin, Arab Jewish, Language, Poetry and Individual Identity, *Goethe Institute Magazine of Thought and Wonderland*. 2009, pp.5-7.Retrieved from www.Goether.de/ges/phi/prj/ar.
21) Shaker Badir, Mahmoud, *Jewish in the Abbasid Literature Selected Models*, Dissertation for Master's Degree, National Success University: College of Graduate Studies, 2014.
22) Sulliman, Ali, *Violence in the Zionist Literature*, Damascus: Ministry of Culture, 2011.